تفريغ مادة مرئية بعنوان

هل النظام التركي يتجه نحو الأسلمة؟

٤/ ٨/ ٢٠١٧ – ١٢ ذي القعدة ١٤٣٨

مدة المادة: ٢٧:٢٤

الشيخ

أبو قتادة الفلسطيني

حفظه اللَّه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله:

يسأل أخ: هل يصح أن نقول: إن النظام التركي يتجه تدريجيًا نحو الأسلمة: أي تشريعات إسلامية، وولاء للمسلمين، وتمايز عن النظام الدولي؟؟

السؤال فيه ثلاث نقاط، وأنا أميز، لأن كل نقطة لها جواب خاص بها.

يقول السؤال: هل يصح القول بأن النظام التركي يتجه تدريجيًا نحو الأسلمة؟؟ هذا سؤال.. أسلمة التشريعات.

السؤال الثاني: هل يتجه تدريجيًا نحو الولاء للمسلمين؟

السؤال الثالث: هل يتجه تدريجيًا للتمايز عن النظام الدولي؟

أما السؤال الأول: هل النظام التركي اليوم الذي يحكم تركيا من خلال حزب أردوغان.. هل يتجه إلى التشريع الإسلامي؟؟ الجواب: لا. أبدًا. وليس هذا دعواهم -انتبهوا- لم يدعي أردوغان ولا حزبه أنهم يتجهون إلى تطبيق الإسلام تدريجيًا، حتى بالمفهوم التدريجي الذي تطرحه الأحزاب الإسلامية السياسية، ولم يتبنى الحزب نفسه الإسلام شريعةً أصلًا، ويجهل الكثير أن أكثر من ثلث الحزب هم علمانيون، ولو أعلن أنه يتجه إلى الأسلمة لتركوه، لأنهم يؤمنون بعلمانية الدولة ولا يؤمنون بإسلامية الدولة.. وأنا أتحدى أن يأتي أحدهم بكلمة أو فعل أن تركيا في موضوع التشريع -تشريع القوانين- تتجه إلى تغييرها إلى إسلامية.. وأردوغان -أكثر من مرة- لا يزعم هذا، يقول: نحن دولة علمانية، بمعنى: أننا وسط بين كل الأديان، وتترك الناس على ما هم فيه، ولا يوجد فيها أي محاولة لتغيير التشريعات العلمانية الحاكمة في تركيا إلى إسلامية.

وهذا أمر يجب أن نفرغ منه.. لا يوجد أحد من حزب أردوغان يزعم أننا نريد أن نجعل الدولة مسلمة.. لم يصرح أحد بهذا التصريح.

يأتي رجل آخر من الخارج لأنه يحب ما فعلته تركيا -وهذا سنتكلم عنه- من قضايا تخص المسلمين، في أنها أولًا أوقفت سيطرة الأحزاب العلمانية الصلبة الشمولية -كحزب الشعب التركي اليساري، والأحزاب القومية التركية التي كانت تعادي الإسلام، ومشت على خطى أتاتورك في عداء الإسلام وعداء المظاهر الإسلامية.. حتى الأذان بالعربية، وحتى اللباس الإسلامي، وحتى لباس المرأة: تمنع المرأة أن تدخل الجامعة،

وأن تذهب إلى المستشفى، وأن تمارس عملها بلباس إسلامي- كانت هذه الأحزاب القذرة -القومية واليسارية واليمينة الأتاتوركية- في تركيا مصيبة على المسلمين؛ فجاء هذا الحزب وفتح المجال للمسلمين بأن يعيدوا أنفسهم في ممارسة أعمالهم الدينية الإسلامية، بعيدًا عن تدخل الدولة في هذا الشأن.. وهذا أمر بلا شك أنه قفزة رائعة من الوضع السابق المعادي للدين.. في علمانية قذرة صلبة تعادي الدين، وأشبه ما تكون بالنظم الشمولية اليسارية، كما في الصين إلى الآن.. كما في روسيا زمن الاتحاد السوفيتي.. وكما في دول شرق أوروبا.. وكما في بعض الدول العربية: اليمن الجنوبي مثلًا.

هذه الأنظمة كانت تعادي الدين.. تعادي من يصلي -وبعضهم ما زال- تعادي المظاهر الدينية.. فأن يأتي هذا الحزب ليترك للناس حرية التعبد.. كانت هذه قفزة رائعة.

الناس شعروا بالفرق الكبير بين ما كانوا عليه وبين ما صاروا عليه؛ فمدحوا أردوغان.. ونحن نمدح أردوغان ونمدح حزبه في هذا الباب، لأن هناك فرق بين أن يأتي أحد يعاديك في مسجدك، وبين أحد يقول لك: صل في مسجدك.. صُم.. البس ما تريد من الأبسة.. دع النساء المسلمات يلبسن اللباس الشرعي... هذه قفزة كبيرة.

الناس فرحوا بها، ولا شك أن الناس يفرحون بها، والمؤمن يفرح بها ويشكر لفاعلها فعله وعمله، لأنها قفزة كبيرة.. ولا نقول كما يقول بعض الجهلة: بأن هذه السعة الدينية التي فتحها هذا الحزب -ومن قبله ومن قبله ممن مهد له.. أربكان رحمه الله مهد لهذه المرحلة، وكان أردوغان أصلًا من جماعة نجم الدين أربكان، ولكن اختلفوا، وما زال حزب أربكان يتهم أردوغان بالاتهامات المشهورة المعروفة في الصحافة.. فنقول: نحن نمدحه لهذا. لكن الحديث عن الدولة والنظام، هل هو نظام مسلم؟ هل تبنى الإسلام؟ هذه النقطة في التشريعات..

وإني أكرر.. لا نقول كما يقول البعض أن هذا إذن أوروبي ليستوعب المسلمين.. نحن لا نقول هذا.. يعني: البعض يقول: إن تجربة تركيا هي تجربة تآمرية من أجل استيعاب المسلمين والتآمر عليهم.. هذه التفسيرات -في الحقيقة- لا تنشأ في عقل رجل سوي سليم.

الرجل هذا عقله، وهذا اختياره، وهذا طريقه، وهو يعادي من يعادي ويوالي من يوالي. الآن انتهينا من موضوع التشريعات.

النقطة الثانية وهي "الولاء للمسلمين" فالذي نراه: أن أردوغان كشخصية -وحزبه كذلك، ومن معه، ومن يختاره من رؤساء الوزراء ووزراء الخارجية.. و و الخ- بلا شك أنهم يُظهروا تعاطفًا مع قضايا المسلمين أكثر من المسلمين حين يتعاطفون مع أنفسهم في قضاياهم. يعني: الناس يرون التعاطف الشديد.. نحن لم نر منه جيوش لتحرير فلسطين.. هو لم يزعم هذا، لكن نحن نرى أنه حين تكون مصيبة على المسلمين في فلسطين يتعاطف معهم.. يضغط بمقدوره السياسي وبما هو فيه من ارتباطات دولية -كونه من حزب الناتو- وكونه على علاقة جيدة أصلا مع الكيان اليهودي الغاصب، أصلًا بينهم اتفاقات سياسية وعسكرية وأمنية عالية جدًا.. لكنه خير من بعض حكام "بلاد العرب أوطاني"... ففي هذا يظهر الناس المحبة له.

وكذلك لما يحدث فتن في بعض بلاد المسلمين يتقدم بالنجدة بما يستطيع، يعني: مثلًا يرسل المساعدات.. يستوعب المهاجرين.. ونحن رأينا حين ضُرب المسلمون في مصر، كثير من المسلمين هربوا إلى تركيا فاستقبلتهم.. وهذا موقف مشرف؛ ونرى استقبال تركيا المهاجرين السوريين.. موقف مشرف.

هذا جانب يحمد له ولا شك. أنا عندي -وقد أخطئ- أن هذا ناشئ عن العاطفة الدينية -كما يفهمها هو- نحو قضايا المسلمين، ونحن نرى هذا التعاطف، ولا نظن أنه يمثل، يعني: لما هو يتكلم عن بيريز، وسب على دولة إسرائيل وكشف عنها بأنها دولة قاتلة.. قاتلة للأطفال؛ هذا لايصدر من تمثيل، ولا أعتقد أنه يصدر من تمثيل.

لذلك أنا أعتقد بأن تعاطفه مع قضايا المسلمين أفضل بكثير من غيره، والناس لهم قلوب ويشعرون بهذا ويحسون به.

ولكن النقطة الأولى في التشريعات صفر: لا يوجد أي تشريع أراده حزب أردوغان في تركيا أن يكون إسلاميًا، هذا لم يبحث لا في قضايا الاقتصاد، ولا في قضايا السياسة، ولا العلاقات الخارجية، ولا غير ذلك.

أما في قضايا التعاطف مع المسلمين فهو يتعاطف، أما عن يحارب عن المسلمين فهذا ليس من مشروعه بما هو عليه.

بقيت النقطة الثالثة التي ذكرها السائل: التمايز عن النظام الدولي.

إذًا: النقطة الأولى واضحة، والنقطة الثانية: ولاءه للمسلمين..

وهناك نقطة يجب أن أذكرها.. أنا قلت: توجد عاطفة دينية عند بعض الحكام وإن لم يكونوا مسلمين في حكمهم، مثلا: يذكرون عن عبد السلام عارف العاطفة الدينية، حتى أني رأيت.. وذكرت هذا في نقاشي لكتاب تقي الدين الهلالي: أن عبد السلام عارف هو من الإخوة السلفيين.. كذا يسميه.. وبعض الكبار الذين عندهم بعض الشطط في الأحكام يسلمونه ويرونه مسلمًا.. فهو عنده عاطفة دينية، وانتصر لسيد قطب ومنع إعدامه.. توجد هذه العاطفة.

لكن -كذلك- يوجد علة أخرى غير العاطفة الدينية عند أردوغان، وهي: قضية النظرة العثمانية.. هو يريد أن يحيي العثمانية.. العثمانية غير التركية.

فأنتم لو ترجعون لثقافة العثمانيين في محاولتهم إرضاء المسلمين الذين كانوا تحت راية الدولة العثمانية، تجدون أنهم كانوا يسمون أنفسهم بالعثمانيين، ويميزون بين العثماني والتركي، ويرون أن التركية هي قومية قذرة.. كما أن القومية العربية قذرة، فكانوا يتكلمون عن العثمانية باعتبارها هوية إسلامية يشترك فيها التركي مع العربي.. هذا فرق.. فالمسلمين الذين كانوا تحت سلطان الدولة العثمانية كانوا يعتبرون العثمانية هوية إسلامية لا علاقة لها بالترك.. فالترك قومية، ورفع شأنها كان من أسباب حرب بعض الذين غرر بهم ضد الدولة العثمانية.. مثلًا: كان محمد رشيد رضا ضد التتريك، وسبب ذلك ممارسة الأتراك لقنصليتهم وقوميتهم ضد العرب، فكانوا يحاربون التركية باعتبارها قومية شعوبية ضد العرب، ولكن الهوية العثمانية كانت هوية إسلامية.

فأنا أعتقد بأن أردوغان فيه نظرة لإحياء العثمانية، وأنه ينظر لنفسه كسلطان يمكن بصيغة ما؛ ولا أظن أن أردوغان من الجهل أن يحيي العثمانية بصيغتها القديمة.. هو يعلم أن هذا الأمر غير مقدور، ولا أظن أنه يفكر هذا التفكير؛ لكنه يريد أن يحيي العثمانية باعتبارها صفة إسلامية جامعة للمسلمين، وأقرب إلى الخضوع تحت الراية التركية -يعني: إلى الدولة التركية- لكن بصيغة ليست سياسية تامة على طريقة الخلافة، ولكن فيها شيء من التعاطف.. فيها شيء من السيطرة السياسية.. فيها شيء من القيادة للعالم الإسلامي.. وأظن أن بعض "التمثيليات" التي يتكلم عنها الناس، أن مبعثها هذا الأمر، وهو: إعادة إحياء العثمانية بسيطرة تركية.

ولكن نحن نحب أن تعود العثمانية بسيطرة إسلامية، سواء كان من الأتراك أو غيرهم، على أساس أن العثمانية هوية إسلامية، باعتبارها خلافة، وليس باعتبار العرق التركي.

ولكن لا أظنه يفكر الآن هذا التفكير، لأنه يرى بأن الأتراك هم أولى الناس بإعادة اللحمة المقاربة لتجمع إسلامي ما تحت الراية التركية.. هذه -لعلها- علة من علل حركة أردوغان في العالم الإسلامي؛ وهذا الشيء -باعتقادي- ليس مذمومًا، بل نحن نحب أن يتم التنافس بين الحكام -إسلاميًا- لإحياء الخلافة.. كما كان التنافس سابقًا بين الملوك لما سقطت الدولة العثمانية.. فكان هناك محاولات.. كل ملك يريد أن يعلن هو الملك الإسلامي الذي ينضوي تحت رايته المسلمون جميعًا.. كان هذا في دول معروفة ومشهورة، وملوك مشهورين.. ولكن هذا بعيد في المنظور السياسي المعاصر اليوم.

فأردوغان يحب هذا، وأنا أعتقد أنه يدندن حوله مرات، ويمشي في ضمن هذا الوفاق الكبير..

بلا شك أن تركيا دولة إسلامية -ليس الحكام، وإنما المجتمع المسلم- وأنها دولة كبيرة جدًا، وأن تأثيرها مهم، وأن عدد سكانها وثقلها مهم في المرحلة القادمة إسلاميًا.

بقيت النقطة الثالثة، وهي: التمايز عن النظام الدولي

في الحقيقة: هذا الذي ذكرناه عن أردوغان، وعن نظافة حزبه.. بالنسبة للمجتمع التركي، وعن هذه المعاني التي ذكرناها في نفسيته لإحياء العثمانية تحت سيطرة تركية معاصرة بصيغة ما.. ليست صيغة خلافة، أتحرز.. حتى لا يفهم كلامي على غير وجه.

أردوغان في محاولته هذه أغضب العنصريين في أوروبا، وأغضب بعض الوسخين من الأمة العربية من حكام العرب... ففي تبنيه لقضايا فلسطين، فضح الكثير من الحكام؛ وفي تبنيه لبعض مآسي المسلمين فضح بعض الحكام؛ وفي محاولته للسيطرة أو لبث روح الإسلام والتعاطف، أغضب الغرب؛ وفي محاولته لبناء تركيا الحديثة، أغضب أصحاب الأموال والأحزاب والدول.

فلذلك صار ما صار من غضب الكل عليه، ونشأت محاولة للانقلاب عليه..التي شارك فيها منافقون – فوق الطاولة هم حلفاء، وتحت الطاولة هم خصوم وأعداء- وتحالف فيها عرب يرونه خطرا عليهم من عدة جهات-كونه تبنى قضايا المسلمين، وكشفه خيانتهم، وكشفه عوراتهم.. فأرادوا التخلص منه- وكذلك هناك خصوم في الداخل، من العلمانيين، وبعض المتدينين الجدد المرتبطين بنظم دولية، معينة بسياقات سياسية ومالية؛ فتمت هذه المحاولة الانقلابية عليه.

أردوغان قبل المحاولة الانقلابية، غير أردوغان بعد المحاولة الانقلابية..

كان يتصرف بغير حذر.. بعد المحاولة الانقلابية صار يتصرف بحذر؛ لذلك حصل بعض الانكفاء الذي يلاحظه كل أحد.. فلم يعد يتبنى القضايا التبني السابق، ولم يعد يهتم بالخارج كما يهتم بالداخل، فصار اهتمامه بالبقاء على إنجازاته في الداخل، على حساب قضايا المسلمين في الخارج، والتي كان يتبناها بقوة ووضوح.

والقضية السورية -بلا شك- أثرت عليه، وأثرت على بلده..

لذلك صارت تصرفات أردوغان فيهت مسحة الانسحاب -لا أريد أن أتكلم أكثر من هذا- عن الحضور العالمي؛ مع أنه إذا وجدت له فرجة، نص -كما يقول العرب- أي: يدفع برجله لدخول المكان؛ ولكن ليس بالحالة الأولى.

هذه الخصومات جعلت منه رجلا ضيق الاختيارات.. حقيقة: تركيا كنظرة سياسية.. أن اختيارات أردوغان ضيقة.. اكتشف أنه يمكن أن يعرى من الداخل، يمكن أن يقتل من الداخل، وأن مشروعه -مع امتداده في الخارج- يمكن أن يقضى عليه من الداخل.. وكذلك أمريكا الحليفة ثبت تعاونها في قضية الانقلاب وأن لها دور.. وبعض الدول العربية لها دور.. لذلك صار حذرًا جدًا، وهذا الحذر وهذا الواقع يقلل الاختيارات.

الوضع السوري.. لم يكن أردوغان يتكلم بمثل هذه القوة الهزيلة.. كان قويًا في كلامه عن الوضع السوري، الآن تجده انكفائي، وتجد محاولات لأشياء واقعية أكثر منها آمال كانت مطروحة في ذهنه.

ولذلك انكفأ.. لضيق الاختيارات.. هو يحاول أن يتمايز -نحن نتكلم عن قضية التمايز عن النظام الدولي.. كل هذا شرح لتمايزه عن النظام ليكون مفهومًا.. إن استطعت أن أبين البيان الشافي فيه- لذلك هو حليف لأمريكا من جهة حلف الناتو، ولكنه هو لا يأمنها لأنه اكتشف أن الإدارة الأمريكية لها دور؛ والأوروبيون لم يفتحوا له المجال -الفتح الكامل- في قضية الدخول إلى أمم أوروبا، وعلم كذلك تواطئهم، وعلم كذلك -من خلال الدوائر- أنهم لا يحبون تجربته، وأن تجربته مستنكرة؛ وقضية العلاقة مع اليهود مرة في تقدم ومرة في تأخر، بحسب الحال.. لذلك تجده -مثلًا - يذهب إلى روسيا..

والناس يتسائلون: كيف يذهب أردوغان إلى روسيا التي تقتل الشعب السوري ويتحالف معها، وهو يؤمن بأن الشعب السوري يجب أن يأخذ اختياره في الحكم القادم وإسقاط بشار، وروسيا تؤيد بشار؟؟!!!

هذا لضيق الاختيارات التي لديه.. هرب من أمريكا التي تخطط لإسقاطه وصنع الانقلاب، وذهب إلى روسيا من هذا الباب، واشترى أسلحة.. الصفقة الأخيرة من روسيا، والتي أخرجت ترامب.. عندما تحدث بغضب عن تلك الصفقة الروسية–التركية.

ولذلك، أردوغان لا يتحرك الآن سياسيًا من خلال وسعه، ولكن من خلال الضغوط، فهو يضغط عليه هنا فيهرب هناك، ولذلك تجده على حال من التخوف.. خاصة بعد المحاولة الانقلابية.

والوضع مع إيران وضع غريب جدًا.. مرة يتقدم بالمصالحة معهم، ومرة يبتعد عنهم.. وهكذا. لأن التنافس بين إيران وتركيا باعتبار تاريخي وباعتبار عصري.. فهو صراع قديم بين الأتراك وبين الإيرانيين منذ زمن العثمانيين والدولة الصفوية؛ والخلاف على الحدود ؟ يعني: تركيا تعتبر أن سورية هي لها سياسيًا لأنها منطقة خلفية لها، والإيرانيون الآن يعتبرون سورية مرشحة أن تسقط بأيديهم، وتصريحات سياسيهم تدل على الطموح الذي تريده الإمبراطورية الإيرانية الفارسي.

والإيرانيون –بلا شك– ليس بعدهم عقدي فقط في كونهم روافض، ولكن هناك بعد قومي في كونهم فرس –وإن رفض هذا بعض المشايخ، لكن الحقيقة: لا، هذا موجود– يعني: لو اختلفت في إيران القومية الفارسية مع المذهب الشيعي، فإنهم يقدمون القومية الفارسية على المذهب.

والقصد من هذا: بأن أردوغان لا يستطيع أن يتمايز عن النظام الدولي.. فهو وضعه وضع خطير، وهو يعرف: أن حركته الآن ليس في مثل الاتساع الذي كان عليه قبل الانقلاب، سواء في ما يتعلق بالوضع السوري، أو الوضع مع إيران، أو روسيا وأوروبا وأمريكا.. اختياراته ضيقة.. وهو غير مرضي عنه من الجميع: لا روسيا ترضى عنه وهو يعلم ذلك، ولا الإيرانيين، ولا أمريكا وهو يعلم ذلك؛ فوضع تركيا وضع خطير، وغير محسود عليه.

ختام الأمر في الموضوع التركي:

الناس لا يريدون أن يفهموا بأن الأحكام الشرعية يجب أن تضبط بعلل؛ يعني: تجد بعض الناس يتحدثون عن أردوغان كأنه هو الخليفة، وأنه إمام المسلمين القائم بدينهم؛ لكنه ليس كذلك، هو عنده مشروعه الذي شرحناه.. وهو هكذا.

وأنا أرى أنه يؤمن بالعلمانية اللينة -كما يسميها فلاسفة النظم السياسية، لأنهم يقسمونها -كما شرحت سابقا- : إلى العلمانية الشمولية الصلبة، وإلى العلمانية اللينة- فهو يؤمن بالعلمانية اللينة.

فلو سألني سائل: هل أنت متعاطف مع أردوغان؟ أنا كما قلت في إحدى كلماتي -ونقلها الإخوة- : كنا نظن أن إزالة جماعة إسلامية سيجعل دعوتنا تتقدم، فلما أزيلت، الزنادقة هم من أخذوا الساحة التي تركتها هذه الجماعة.. فنحن في وضع لا نستطيع الآن أن نملأ الفراغ.

فلو قال قائل: ليذهب أردوغان إلى الجحيم.. نقول له: يذهب إلى الجحيم فيأتي العلمانيون.. الخيارات ليست جماعة إسلامية مهدية على الخلافة الراشدة.. في هذه اللحظات التي نحن فيها، ستخلف أردوغان الزنادقة..

لا شك أن أردوغان فيما هو عليه، خير ألف مرة من كثير من الحكام الذين يزعمون الإسلام ويدندنون حوله؛ ولكن أنا أتكلم عن الذين يجعلونه إماما للمسلمين.. هذا لا يسعفهم، وعن الذين يكرهونه ويجعلونه عميلًا يريد تقديم تجربة إسلامية تستوعب الناس من أجل أن تقطع آمالهم وأن تكسر أرجلهم في مسيرهم نحو دولة الإسلام، باعتبارها الدولة النموذج.. هؤلاء تفسيرهم غير صحيح.. فنحن -للأسف- بين حدين.

نحن نحب لكل العالم الذي يضطهد فيه الإسلام ويمنع فيه، أن ينصروا الإسلام.. الآن انظروا إلى الصين، وانظر إلى بورما.. انظر إلى الصين ماذا يفعلون بالمسلمين؛ فلو جاءت دولة تسمح لهم بالصلاة والصوم والزكاة، وأن يلبسوا اللباس الإسلامي، وأن لا تداهم البيوت من أجل منع القرآن، لو جاءت فرحنا بهذا الأمر؛ لكن هل يؤدي هذا بنا إلى أن نجعلها دولة إسلامية.. هناك فرق بين هذا وهذا.

هذا ما عندي وبالله التوفيق.

وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

تفريغ العبد الفقير لرحمة ربه: أبي طالب الرسعني